لنفسي مكانا فيه متسع لرأسي وذراعي وساقي؟ ما الذي استجد على جسمي وأطرافي حتى يتعذّر عليّ هكذا أن أرقد بها وأريحها وأرتاح؟

* * *

كتب الناظر:

أعترف أنني لا أحيط بالآلة فهي هائلة، معقّدة، تليق بمعجزات العصر الإلكتروني وتفي بمتطلبات الجحيم. أتساءل ما الذي يملكه مُقعد في الخامسة والستين أمام آلة بحجم الأرض؟

مزق الورقة. ألقي بها في سلة المهملات. قال: سأكتب عن الرجلين البدينين اللذين يديران المشهد، البدين ذو الرأس الصغير، الأقدم والأكثر تفوقا في الخبرات والمذابح، والبدين رقم ٢ الأقل رسوخا في إنجازه، يتصبب عرقا، دائما يتصبب عرقا. أعرف أنه من مواليد العراق، وأعرف أن اسمه الأصلي ليس بنيامين بل فؤاد، هكذا يناديه أهله وأصحابه ومعارفه، فأتصور وأنا أتملى وجهه على شاشة التليفزيون أنه قطع الطريق ركضا من اسم إلى اسم، مُخَلّفا وراءه آلافا من القتلى.

رجلان بدينان، وعلى الجدار خلفهما صورتان، صورة لأصلع قصير، والثانية لملتح مستطيل الوجه لا يظهر كتابه في يمينه. كيف يربضان على صدر خريطة؟ هذا تعبير هزيل وناقص، وربما يكون غامضا إن لم ينتبه القارئ إلى أن البدينين هما شارون ووزير في حكومته، والمعلقين على الجدار هما بن جوريون وهرتزل، ثم لماذا أخصّ شارون والثلاثة الآخرين، لم لا أكتب عن بوش الأب وبوش الابن والآخرين، والحرب التي جرت والحرب التي ستجري بعد أسابيع أو شهور؟ الأدباء لا يفعلون ذلك، لا يتركون للغضب أن يستدرجهم إلى كتابة مباشرة لا تنفع بشيء اللهم إلا التخفف من الغضب.

صاح الناظر: لست أديبا، لم أدعِ أنني أكتب أدبا رفيعا أو غليظا أو هامسا